ردنا على المقال السابق

من أسوء ما نشكو ونألم منه عقم مناظراتنا العلمية . وانصرافنا عنها الى الإطالة في ما لا علاقة له بموضوعها . ولا يحقق الغرض منها . ويكاد يكون ردُّ الاستاذ الجندي علينا من أوضح الأمثلة على ذلك :

كتبنا اربع صفحات في الجزء الماضي مهدنا فيها الطريق الى الاستنجاد بالزملاء على معاونتنا في تعيين اللغة التي أخذت منها كلمة (الاشتيام) الواردة في شعر البحتري إن كانت أعجمية . ومن أي مصدر اشتقت إن كانت عربية . فكتب الاستاذ الجندي زهاء عشر صفحات لا في معاونتي على ما طلبته منه وانما هو (فتح جبهات) جديدة في الجدل حول مسائل لغوية وأدبية وعروضية وتاريخية لا نافة لموضوع مقالي فيها ولا جمل . ولا يخطر في بال أحد أن أكون ممن يشك أو ينازع فيها . وفوق ذلك ان الاستاذ نسب اليَّ أشياء لم أقلها : مثل أن في بيت البحتري عيباً عروضياً . وردَّ عليَّ بان في أشعار البلغاء مثله . وذكر سبعة عشر بيتاً فقط شاهداً على ما قال . وأنا غافل القلب عن هذا البحث بل ربما كنت أعتقد اعتقاده فيه .

أما كلمة (الاشتيام) نفسها التي أتساءل عنها وعقدت مقالي لأجلها فلم يهتم الاستاذ بها ولم يرد أن يتعب نفسه في استقصاء البحث عن أصلها او بيان شيء جديد مفيد غير ما قلته ورويته عنها :

قلت في مقالي المذكور ان الاشتيام يكون بمعنى رئيس المركب كما يكون بمعنى رئيس الملاحين وتساءلت أعربية هي ؟ ونقلت عبارة ابي العلاء المعري في (عبث الوليد) وقد صرح فيها باحتمال أن تكون أعجمية . فرجحت أن تكون أعجمية من اصل فارسي . وخطر لي احتمال أن تكون محرفة من كلمة (الآشنا) بمعنى الخبير بالسباحة . ولم ارد بذلك الا تمهيد الطريق بين يدي الباحثين إلى معرفة الحقيقة بدليل ما قلته في ختام مقالي وهو : (نعتمد على هذا الحل في تحقيق كلمة (الاشتيام) ريثما نقع على نسخ أخرى لاشعار البحتري ومخطوطات ديوانه أو على نصوص في كتب اللغة غير التاج واللسان نتبين منها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حقيقة كلمة (الاشتيام) واشتقاقها فنعرف إن كانت عربية أو معربة) فالاستاذ الجندي شُغل عن معاونتي بنقد كلماتي التي جاءت عرضاً في تمهيدي ومقدماتي . وانتهى من معرفة (الاشتيام) الى مداورتنا على الجهل بها . وان نبقى على الحيرة من أمرها . بدليل قوله في ختام رده علينا وهذا نصه بالحرف (على اننا لو اقتصرنا على ما ذكره ابو العلاء لكان فيه غنية عن كل هذا التأويل والتطويل) ثم قال (هذا ما بدالي في كلمة (الاشتيام) . وبذلك انتهى مقاله .

أما ما ذكره ابو العلاء وقال الاستاذ الجندي ان فيه غنية (او فيه رقية !) فهو قوله وننقله من مقاله (ذكر ابو العلاء ان المتقدمين من اهل اللغة لم يذكروا كلمة (الاشتيام) وان البحريين الذين يسلكون بحر الحجاز يسمون رئيس المركب (الاشتيام) ولم يجزم ابو العلاء بأنها عربية او اعجمية وانما قال : اذا كانت عربية فهي من اشتام البرق وان كانت اعجمية فهمزتها همزة قطع) ثم قال الاستاذ الجندي (وهذا كل ما ذكره ابو العلاء وظاهر كلامه انه يرجح كونها عربية الأصل انتهى) هذا رأي ابي العلاء الذي ينصح لنا الاستاذ الجندي أن نستغني به ثم لا نعيد ولا نبدي . ولكن اساطين نهضتنا الحاضرة يريدون منا غير هذا التحقيق عن آثار السلف وتحرير نصوصها كي يتسنى لنا ان نبني ادبنا الجديد عليها على مثال ما فعله الاب انستاس الكرملي في تحقيق كلمة (الاشتيام) : فانه قد ارسل الى ادارة المجمع مقالاً مسهباً لم يخرج فيه عن صدد تحليل تلك الكلمة . وقد وصل الينا مقاله مع مقال الاستاذ الجندي وسننشره له في الجزء القادم . وهذا ما قاله الاب (ان في كتاب العين وهو اقدم معجم عربي ما نصه (والاشتيام رأس ملاحي السفينة وهو بالنبطية اشتياما اه) اي بألف مقصورة في آخره

* * *

آن ان اختم القول وادع الاطالة لئلا اقع في ما نهيت عنه . غير ان هناك ثلاث مسائل أرى من الواجب ان انصف نفسي فيها ما دامت قد حُرمت انصاف الآخرين فاذكرها بايجاز وهي :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١ — لم آت نكراً مذ قلت ان الاغلاط تعيث في اشعار البحتري وهذا ابو العلاء المعري ألف كتاباً خاصاً عدّد فيه أغلاط البحتري في نحو اربعمائة بيت من شعره وسماه (عبث الوليد) . والعبثُ وصفُ سوء ابشع من وصف الغلط . بل كان (ابوالعلاء) احياناً يذكر في كتابه اغلاط البحتري ويعبر عنها بقوله (عجائب) : عابه في زحاف عروضي مرةً ثم قال ما نصه (ولأبي عبادة (البحتري) في شعره عجائب وما أظنه كان يستحسن مثل هذا الزحاف على ان الكسر وجد في ديوانه وهو شرٌّ من الزحاف) (راجع عبث الوليد النسخة الفوتوغرافية المحفوظة في المجمع ص ٩٩)

واذا قلنا ان في شعر البحتري اغلاطاً كثيرة لا نعني ان كلها منه بل ان القليل منها منه والكثير من نساخ اشعاره . واشعاره تبلغ (١٥) الف بيت تعاورتها أيدي النساخ اكثر من الف سنة فليس العجيب ان تقع فيها اغلاط بل العجيب أن لا تقع .

٢ — بيت :

(يغضون دون الاشتيام عيونهم وقوف السماط للعظيم المؤمر)

ليس فيه تشبيه الشيء بنفسه كذا يقول الاستاذ الجندي . ويكون قوله صحيحاً اذا أردنا من معنى (الاشتيام) رئيس الملاحين . وهو يرى ان رئيس الملاحين واحد منهم فلا يوصف بالعظمة . فيكون المعنى ان الملاحين من فرط تأدبهم يحترمون الاشتيام كما يحترم الناس أمراءهم العظام . وهو قول وجيه ومع هذا يمكن الردّ عليه بأن رئيس الملاحين عظيم في نفوس اتباعه أيضاً فنكون شبهنا احترامهم لعظيمهم باحترام الناس لعظيمهم . وهل هذا الا تشبيه الشيء بنفسه . اما اذا اريد بالاشتيام معناه الآخر وهو (رئيس المركب) الذي يدير حركة القتال فيه كان المراد به اذ ذاك الامير احمد بن دينار : فقد كان رئيس المقاتلين لا رئيس الملاحين واذ ذاك تكون هجنة تشبيه الشيء بنفسه في البيت أبين وأظهر . اذ يكون المعنى ان المقاتلين يحترمون رئيس مركبهم العظيم كما يحترم الناس رؤساءهم العظام . وليس البحتري بمعصوم عن زلة تشبيه الشيء بنفسه : فقد سبق له ان شبه الاثافي بالاثافي : ذكر ابو العلاء في كتابه (عبث الوليد) أن البحتري قال في القصيدة التي اولها :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(أَلِما فاتَ من تلاقٍ تلاف أم لشاكٍ من الصبابة شاف)

ثم قال: (وأثافٍ أنت لها حِججٌ دو ن لظى النار — مُثَّلٌ كالأثافي)

فاستشكل ابو العلاء تشبيه الاثافي بالاثافي . وأراد الاعتذار والتلافي . فقال (اذا صحت الرواية على هذا فالمعنى كذا وكذا . ثم اخذ في تأويل هذا العبث أو الغلط كما يفعل الشراح اذا رأوا في النصوص ما يدعو الى تأويلها . ولكن تأويل الغلط لا ينفي عنه وصف الغلط . وبالجملة فان بيت البحتري : يغضون الخ اذا لم يكن من تشبيه الشيء بنفسه كما يرجح الاستاذ الجندي فهو قريب منه

٣ — يرى الاستاذ اننا عبنا البحتري في استعماله كلمة (الاشتيام) وهي لم تذكر في كتب اللغة ليتوصل بذلك الى نقدنا في استعمال كلمات (العجالة) و (المعاجم) و(التحليل) في مقالنا وهي مما لا يعرفه علماء اللغة . أما نحن فلم نعب البحتري باستعمال (الاشتيام) قط وانما اشكل علينا أصلها كما اشكل على غيرنا . والكلمات الثلاث المعدودة من اغلاطنا ظاهرٌ عنا عارها : فالعجالة كلمة فصيحة في المعنى الذي استعملناها فيه . فليراجعها القارئ في الصحاح يجده يقول (العجالة بالضم ما تعجلته من شيء) ونحن استعملناها في ما تعجلناه من الكلام . والكلام شيء : قال في (الجوهرة) (والشيء عندنا هو الموجود) . اما كلمة (المعاجم) فقد اصطلح المتأخرون على تسمية كتب اللغة والتراجم بها لأن مواد الكلم فيها مرتبة على حروف المعجم . وهل أحد منا لا يستعمل كلمة معجم ومعاجم قولاً و كتابةً . ونسي الاستاذ ما سُمي بالمعاجم من مصنفات كبار علمائنا كمعجم الادباء والبلدان ومعجم ما استعجم الخ وان لم نقل معاجم نقل (قواميس) وهل نكون آمنين من النقد اذا قلناها يا ترى ؟

وأما كلمة (تحليل) فاصطلاح علمي قديم وهو جائز الاستعمال من دون نكير كسائر الاصطلاحات العلمية وليراجع القارئ كتاب (كشاف اصطلاحات الفنون) ص ٣٨٦ فان فيه مايدل على ان استعمال كلمة (التحليل) اصطلاح لاسلافنا من أطباء ومناطقة وغيرهم وهو عند الكيماويين بمعنى ارجاع المادة الطبيعية الى عناصرها الاصلية . وقد استعار كتابنا المعاصرون كلمة التحليل واستعملوها في ارجاع الكلمة اللغوية الى معانيها المعقدة المختلفة . ولم تزل كلمة (التحليل) مستعملة الى اليوم في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

معاهدنا العلمية وعلى ألسنة اساتذة الكيمياء خاصة . واتفق لي بالامس ان صادفت طالبي تجهيز بيدهما دفتر كيمياء فاذا فيه ما نصه بالحرف (هدف التحليل المباشر هو فصل المركبات المختلفة الموجودة في المواد العضوية بحالة خليطٍ الخ . ولكل علم حتى علوم الدين اصطلاح لا يعرفه العرب ، سُئل اعرابي : أتهمز القارة ؟ أي أتلفظها بالهمزة . قال الهرّ يهمزها . اي يشدّ عليها ليأكلها . وهذا معنى الهمز في اللغة . ولو سألت ذاك الاعرابي عن إعراب (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل) لقال متعجباً : إن معناه من الوضوح بحيث لا يحتاج الى إعراب . لأنه يفهم من كلمة الاعراب معناها اللغوي وهو الابانة والافصاح عن الشيء أما معناها الاصطلاحي التعليمي فهو تطبيق القواعد النحوية على جملةٍ ما . وهذا مما يجهله العرب . وكم تظنون الاستاذ الجندي استعمل كلمة (الاعراب) الاصطلاحية وهو يعلّم اللغة العربية ؟ تقولون مئة الف مرة . أقول بل اكثر فليلاً . يستعمل الاستاذ كلمة (الاعراب) بألوف المرات ويلومني على استعمال (التحليل) ثلاث مرات فقط . وهذا ابن أبي الحديد يقول في خاتمة شرحه لنهج البلاغة : « وقد استعملت في كثير من فصوله فيما يتعلق بكلام المتكلمين والحكماء خاصة ألفاظ القوم مع علمي بأن العربية لا تجيزها نحو قولهم المحسوسات وقولهم (الكل والبعض) وقولهم (الصفات الذاتية) وقولهم (الجسمانيات) وقولهم (أما اولاً فالحال كذا) ونحو ذلك مما لا يخفى عمن له أدنى أنس بالأدب . ولكننا أستهجنا تبديل ألفاظهم . وتغيير عباراتهم . فمن كلم قوماً كلمهم باصطلاحهم اهـ » . وكنت استفتيتُ أعضاء مجمعنا العلمي في الكلمات غير القاموسية . ومنها كلمات الاصطلاحات العلمية . فأجمعوا على جواز استعمالها وهم (١٨) عضواً . فيهم الاسكندري والكرملي والنشاشيبي والخضر . ويكفي ان تذكر اسماؤهم فتذكر بجانبها الغيرة الملتهبة على اللغة . وقد سكت بقية الاعضاء عن الجواب على سؤالي ومضى على ذلك عشر سنين فاكتسبت الكلمات الاصطلاحية الصفة القانونية وحق الاستعمال كما يستعمل الكلام الفصيح (راجع مجلة المجمع مجلد ١٢ ص ٥٢٧) و (مجلد ١١ ص ٤٣٢)

المعرجي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net